

من سيرة

أهل البيت

عصر الإمام الصادق

عصر الإمام الصادق

١

الدكتور

أحمد عبدالمجيد حمود

(السترااليا)

عصر الإمام الصادق

ولد الإمام جعفر بن محمد (الصادق) في عهد عبدالمك بن

مروان سنة ٨٣ للهجرة^١ وعاصر عشرة من حكام بني أمية هم:

عبدالمك بن مروان، والوليد بن عبدالمك، وسليمان بن عبدالمك، وعمر بن عبد

العزيز الذي وجد الناس في عهده عدلاً فقدوه زماناً واستراحوا في أيامه القليلة،

ويزيد بن عبدالمك الذي فكر أن يسير بسيرة عمر بن عبدالعزيز غير أنه لم يوفق،

وهشام بن عبدالمك، والوليد بن يزيد بن عبدالمك، وي زيد الثالث الملقب بالناقص^٢،وإبراهيم بن الوليد بن عبدالمك، ومروان بن محمد المعروف بالحصار^٣.

وعاصر الإمام الصادق من العباسيين عبدالله بن محمد المعروف بأبي

العباس السفاح، وأخاه عبدالله بن محمد المعروف بأبي جعفر المنصور.

موقف الإمام من ثورات العلويين

١ - عاصر الإمام الصادق ثورة زيد بن علي بن الحسين، التي قامت

(١) الكليني، أصول الكافي، ١.

٤٧٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في

التاريخ ٤: ٤٩٩.

(٣) المسعودي، مروج

الذهب ٣: ٢٤٠.

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ١٧٢.

(٥) المفيد، الإرشاد: ٣٦٨.

(٦) تاريخ الطبري ٧ : ١٨١.

(٧) الصدوق، عيون أخبار

الرضا ٢ : ٢٢٥ و ٢٢٦.

(٨) المجلسي، بحار الأنوار

١١ : ٣٢٥.

(٩) هو ابن أخت سليمان بن

خالد الأقطع، روى عن الإمام

الصادق وولده الإمام موسى

الكاظم (٧٤٥ - ٧٩٩ م، ١٢٨ -

١٨٣ هـ) رجال الكشي ٢ :

٦٥٢.

(١٠) الكليني، روضة الكافي

٨ : ٢١٩ و ٢٢٠.

(١١) ابن شهر آشوب، مناقب

آل أبي طالب ٤ : ٢٢٦.

والمجلسي، بحار الأنوار ١١ :

١٢٧.

(١٢) الشيخ المفيد، الإرشاد:

٢٦٩. والمجلسي، بحار

الأنوار ١١ : ٨٣٧.

(١٣) عبدالله بن معاوية بن

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب

ت. (١٢٩ هـ)، طلب الخلافة من

بني أمية سنة ١٢٧ هـ بالكوفة

فقبض عليه أبو مسلم

الخراساني ومات في سجنه.

(راجع: تاريخ الطبري ٧ : ٣٠٢ -

٣٠٣. والاصفهاني، مقاتل

بالعراق في عهد هشام بن عبد الملك. وكانت بيعته التي بايع الناس عليها: الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم الفيء بين أهله بالسواء، وردة الظالمين، ونصرة أهل البيت على من نصب لهم وجعل حقهم^٤. وإلى البدع أن تطفأ، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطلب بثارات الحسين^٥.

وكان الإمام الصادق^{عليه السلام} يحدث الناس ويدفعهم لنصرة زيد والوقوف معه في ثورته ضد الحكومة الأموية^٦. ولما استشاره بالخروج قال: «ويل لمن سمع وأعبته فلم يجب»^٧. وكان يقول بعد استشهاده: «رحم الله عتي زيدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظهر لوفى بما دعا إليه»^٨.

يحدث العيص بن قاسم^٩ فيقول: سمعت أبا عبد الله (الصادق)^{عليه السلام} يقول: «عليكم بتقوى الله... إن أتاكم آت منّا فانظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه»^{١٠}.

ويبدو من هذا القول أن الإمام الصادق^{عليه السلام} كان يريد من الناس أن يكونوا على حذر من قادة الثورات، وأن ينظروا ويحققوا في مبادئ ثوراتهم والغاية منها قبل أن يخرجوا معهم، لأن هناك اتصالاً وثيقاً بين شخصية قائد الثورة ومبادئ ثورته. فزيد بن علي كما شهد له الإمام جعفر الصادق^{عليه السلام} إنما هو عالم وصدوق، لم يدع إلى نفسه وإنما دعا إلى الرضا من آل محمد^{عليه السلام}، وخرج إلى سلطان مجتمع لينقضه، وعندما بلغه مقتل زيد بكى عليه حتى أبكى النساء من خلف الستور^{١١}. وفرق من ماله على عيال من أصيب مع زيد من أصحابه ألف دينار^{١٢}. بينما لم يحصل زعماء الكيسانية ولا عبدالله بن معاوية^{١٣} على مساندة الإمام الصادق^{عليه السلام}. إن الروايات التي تحدثت عن زيد وثورته لم يرد فيها أي تصريح بطلب الخلافة أو استحقاقها، بل دعوته كانت تتحدد في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع، وإعلام الأمة إلى ما آلت إليه الخلافة وأجهزتها. فكانت كل هذه المسوغات دافعاً لثورته ضد هشام بن عبد الملك^{١٤}. فعلى هذا الأساس وقف الإمام

الطالبيين: ١٥٢ - ١٥٩. وابن
الأثير، الكامل في التاريخ ٥: ٥
(٧-).

(١٤) الجاحظ، البيان والتبيين
٣: ٨٠٨.

(١٥) رجال الكشي ٢: ٧٠٠.

(١٦) سليمان بن خالد، أبو
الربيع الأقطع الهلالي، كان ثقة
فقيهاً قارئاً وجيهاً، صاحب
قرآن، وكان قد خرج مع زيد
بن علي فقتلته يده، ومات في
حياة الإمام الصادق عليه السلام
فتوَّجَّع لفقدته. (راجع: رجال
الكشي ٢: ٦٤٤).

(١٧) رجال الكشي ٢: ٦٥٢.

(١٨) يحيى بن زيد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب
(٩٨ - ١٢٥ هـ)، ثار بعد أبيه
على بني مروان، ورمي بسهم
أصاب جبهته فسقط قتيلاً
وخُمل رأسه إلى الوليد.
وضُلب جسده بالجورجان.
(راجع: تاريخ الطبري ٧: ٢٢٨ -
٢٣٠).

(١٩) عبدالله بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليه السلام، الملقَّب بـ (أدق)
أخو الإمام الصادق عليه السلام.
(راجع: الاصفهاني، مقاتل
الطالبيين: ١٥١).

(٢٠) الاصفهاني، مقاتل

الطالبيين: ١٥١.

جعفر الصادق عليه السلام من ثورة زيد بن علي عليه السلام موقفاً إيجابياً متسماً بالتأييد، لأنَّ
ثورة زيد لا تختلف في منهجيتها ولا في مبادئها عن منهج الإمام الصادق عليه السلام
ومبادئه «أما إنَّه لو ظفر لوفى، أما إنَّه لو ملك لعرف كيف يصرفها»^{١٥}.

ومما يقوِّي هذا الرأي قول سليمان بن خالد^{١٦} الذي خرج مع زيد بن علي حين
سُئِلَ: «ما تقول في زيد هو خير أم جعفر؟». فقال سليمان: «والله ليوم من جعفر
خير من زيد أيام الدنيا»، واعترف زيد بإمامة جعفر عليه السلام عندما سمع بهذه القصة
فقال: «جعفر إمامنا في الحلال والحرام»^{١٧}.

٢- وبعد ثلاث سنوات من استشهاد زيد بن علي سنة (١٢٢ هـ) خرج ولده
يحيى^{١٨} على الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وفي أيامه قتل عبدالله^{١٩} بن الإمام محمد
الباقر وأخو الإمام الصادق عليه السلام على يد رجل من بني أمية^{٢٠}. وشاهد الإمام
الصادق عليه السلام في أيام يزيد بن الوليد اضطراب أمر بني أمية، وهياج الفتنة في
دولتهم^{٢١}.

٣- وبالرغم من كل هذه الحوادث والمحن التي ابتلي بها أهل البيت عليه السلام فإنَّ
الإمام الصادق عليه السلام لم يغفل مطلقاً عن مراقبة تحرُّك الدَّعوة العباسية التي بدأت
سنة ١٠٠ للهجرة^{٢٢}، والتي كانت تعمل بالسرِّ والخفاء من الحميمة^{٢٣} في خلافة
عمر بن عبدالعزيز. وأصبح أبو هاشم^{٢٤} إماماً للكيسانية بعد أبيه محمد بن الحنفية.
وقد بدأ نشاطاً واسعاً أثار القلق والخوف عند سليمان بن عبد الملك فدسَّ إليه السمَّ
فمات به بالحميمة بعد أن أوصى إلى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس^{٢٥}.

وهناك رأي آخر يرى أنَّ أبا هاشم لم يوص إلى محمد بن علي بل أوصى إلى
أخيه علي بن محمد بن الحنفية، وأنَّ الذين ذكروا أنَّه أوصى إلى محمد بن علي بن
عبدالله بن عباس بن عبد المطلب غلطوا في الاسم، لأنَّ الوصية عندهم في ولد
محمد بن الحنفية لا تخرج إلى غيرهم، ومنهم يكون القائم المهدي، وهم الكيسانية
الخلص الذين غلبوا على هذا الاسم، وهذه الفرقة خاصَّة تسمَّى المختارية^{٢٦}.

وفي الوقت نفسه كان الإمام الصادق عليه السلام يراقب قادة تلك الحركة والشعار
الذي طرحوه بأن تكون الدَّعوة للرضا من آل محمد، من دون أن يخصَّصوا
شخصاً معيناً من العلويين أو العباسيين. لأنَّ ذلك كان سيؤدِّي إلى صراع علوي

عباسي، فيؤخّر مسيرة الدعوة العباسية، ويؤدّي إلى مواجهة الأمويين لها، وفي الوقت نفسه يثبّت لهم حقّاً في الإمامة.

إنّ طرح العباسيين أثناء دعوتهم الشعار نفسه الذي طرحه زيد بن علي في ثورته أدّى إلى نتائج، منها: أنّه كسب بذلك ولاء كثير من المسلمين العرب الذين كانوا يريدون تحويل الخلافة إلى البيت الهاشمي^{٢٧}. وهذا نفوس العلويين، وامتصّ العواطف العلوية وقواعدها الشعبية، باعتبار أنّ أهل البيت كانوا يمثلون أقوى الأحزاب المعارضة للأمويين. وكسب ولاء الموالي نتيجة للضيم والمظالم الاجتماعية التي مارسها الحكم الأموي ضدّهم بناءً على الكفاءة، فإنّ العربي كفء للعربي، والموالي كفء للموالي. الأمر الذي دفع بالموالي إلى الانضمام إلى آية حركة معارضة للحكم الأموي من أجل المطالبة بالعدالة الاجتماعية والمساواة. وقد حفزهم على ذلك الدين الإسلامي الذي يمنع الفوارق بين المسلمين، ويساوي بين أفراد المجتمع الإسلامي في الحقوق والواجبات^{٢٨}.

وبعد طرح العباسيين دعوتهم توافدت شيعة العراق على محمد بن علي بالحميمة، فأرادوه على البيعة، فقال لهم: «هذا أوان ما نؤمّل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ»^{٢٩}.

كما أن تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي أدّى في بادئ الأمر إلى انفصال العباسيين عن العلويين، وإن لم يكن ذلك الانفصال تاماً. إلّا أنّه أصبح لكلّ فريق منهم أسلوبه ومبادئه وأهدافه وخطّته للوصول إلى الخلافة. فاستمرّ العلويّون من أحفاد فاطمة عليها السلام في كفاحهم ضدّ الدولة الأمويّة كما استمرّ العباسيون في سعيهم من أجل تولّي الخلافة. ورغم كلّ ذلك أصبح بعض الشيعة العلويّين أساساً للدعوة العباسية، كما أصبح بعض العباسيين أنصاراً لبعض الثورات العلوية^{٣٠}.

ولما تولّى هشام بن عبد الملك الخلافة سنة ١٠٥ هـ نال كلّاً من العلويين والعباسيين الاضطهاد والتشريد. فكان عامله على العراق يوسف بن عمر^{٣١} لا يدع أحداً يُعرف بموالاة بني هاشم إلّا يبعث إليه فحبسه عنده بواسطة^{٣٢}. ولكن ذلك لم يقض على الدعوة العباسية فبقيت تعمل في عهده بالسّر والخفاء. لكن الذي أثر

(٢١) ابن الأثير، الكامل في

التاريخ ٤: ٤٨٧-٤٩٩.

(٢٢) الدينوري، الأخبار

الطوال ٣٣٤. والمقدسي، البدء

والتاريخ ٦: ٥٩.

(٢٣) الحميمة: بلد من أرض

الشرارة من أعمال عَمَّان في

أطراف الشام. (راجع:

المقدسي، البدء والتاريخ ٦:

٥٩. وياقوت الحموي، معجم

البلدان ٢: ٣٠٧).

(٢٤) أبو هاشم: عبد الله بن

محمد بن علي بن أبي طالب

(٢١-٨١ هـ)، كان عالماً لسناً.

وكان وصيّ أبيه. (راجع:

الاصفهاني، مقاتل الطالبين.

والشهرستاني، الملل والنحل

١: ٥٠-٥١).

(٢٥) محمّد بن علي بن عبد الله

بن العباس بن عبد المطلب

(٦٢-١٢٥ هـ) أوّل من قام

بالدعوة العباسية وهو والد

السفاح والمنصور الهاشميين

في الدولة الأمويّة. (راجع:

الزركلي، الأعلام ٧: ١٥٣).

(٢٦) النوبختي، فرق الشيعة.

٤٨-٥٠.

(٢٧) تاريخ يعقوبي ٢: ٣٥٤.

(٢٨) الدينوري، الأخبار

الطوال ٣٠٦ و٣٠٧.

(٢٩) المصدر: ٣٢٤.

والمقدسي، البدء والتاريخ: ٦٠
٥٩.

(٣٠) الاصفهاني، مقاتل

الطالبين: ١٥٧.

(٣١) يوسف بن عمر الثقفي،

ولي اليمن لهشام بن عبد

الملك سنة ١٠٦هـ ثم نقله إلى

ولاية العراق سنة ١٢١هـ.

وأضاف إليه إمرة خراسان،

واستمر إلى أيام يزيد بن

الوليد أواخر سنة ١٢٦هـ.

(راجع: ابن خلكان، وفیات

الأعيان ٧: ١٠١ و ١٠٢،

والذهبي، دول الإسلام: ٧٨،

والزركلي، الأعلام ٩: ٣٢٠).

(٣٢) الدينوري، الأخبار

الطوال: ٣٣٩.

(٣٣) تاريخ الطبري ٧: ١٦٧.

وابن الأثير، الكامل في التاريخ

٤: ٢٤٢.

(٣٤) تاريخ الطبري ٧: ٦٦٢

و ٣٩٩.

(٣٥) المصدر: ٣٠٢.

(٣٦) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٣.

(٣٧) الاصفهاني، مقاتل

الطالبين: ١٥٧.

عليها تأثيراً مباشراً هو ثورة زيد بن علي في العراق، حيث أدرك العباسيون ضخامة هذه الثورة ومدى خطورتها على دعوتهم، فحاولوا تثبيط عزيمة زيد عن الثورة بتذكيره موقف أهل الكوفة من أهل بيته^{٣٣}.

٤- إن إخفاق ثورة زيد بن علي، والقضاء على ثورة ابنه يحيى سنة ١٢٥هـ، وتولي الحكم خلفاء أمويون ضعاف، والقوضى والاضطرابات التي عمّت أرجاء مملكتهم، كل هذه الأمور مجتمعة أعطت الدعوة العباسية فرصة في التحرك والانطلاق^{٣٤}. وكذلك أدرك العباسيون خطورة حركة علوية أخرى قامت بقيادة عبدالله بن معاوية الذي دعا إلى نفسه وإلى بيعته على الرضا من آل محمد^{٣٥}.

إن طرح شعار الرضا من آل محمد ﷺ من قبل عبدالله بن معاوية والعباسيين يدل على أهمية موقع آل محمد ﷺ في نفوس المسلمين قاطبة، بل إنه يُعد من أكبر العوامل استقطاباً للمسلمين في نصرتهما، والانضمام تحت لوائهما.

وقد امتدت دعوة عبدالله بن معاوية إلى معظم مدن العراق، وإلى المدائن، والماهين، وهمدان، وقومس، وأصبهان، والزي، وفارس^{٣٦}. فأسرع العباسيون إلى مهانة عبدالله، وقدم عليه السفاح والمنصور وعفهما عيسى بن علي، فمن أراد منهم عملاً قلّده، ومن أراد صلة وصله^{٣٧}. ولما أدرك أبو مسلم الخراساني خطورة حركة ابن معاوية قبض عليه وسجنه ثم قتله عندما لجأ إليه طالباً منه النصرة والمعاونة^{٣٨}.

موقف الإمام ﷺ من العباسيين

رأى العباسيون الذين كان لهم الدور الأكبر في العمل على إضعاف الحركات العلوية وإخفاقها أن الأمور تسير في صالح دعوتهم بعد أن تدارسوا الموقف في الحيلة مع وفود من خراسان، وأن الوقت قد أصبح ملائماً لإعلان الثورة واختيار قائد لها. فاختر أبو مسلم الخراساني لقيادتها، وقد نجح في إعداد وتهيئة جيش ضخم ما لبث أن هزم جيش الخليفة الأموي مروان الحمار عند نهر الزاب، وانتهى الأمر بقتل مروان سنة (١٣٢هـ). وفي العاشر من المحرم سنة ١٣٢هـ ظهر السواد شعاراً للعباسيين في الكوفة، فكان هذا إعلاناً عن سقوط الدولة الأموية وقيام

(٣٨) المصدر: ١٥٧ و ١٥٨.

(٣٩) الدينوري، الأخبار الطوال: ٦٣٥. وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤٥. والذهبي، دول الإسلام: ٨٨.

(٤٠) حفص بن سليمان الهمداني الخلال، أول من لُقّب بالوزارة في الإسلام، أنفق أموالاً كثيرة في سبيل الدعوة العباسية، وكان أول وزير لأول خليفة عباسي. (راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢: ١٩٥-١٩٧).

(٤١) الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٣٦.

(٤٢) المسعودي، مروج الذهب ٢: ٢٥٤. والمقدسي، البدء والتاريخ ٦: ٦٧.

(٤٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أسلم. وكان أسلم مولئاً لرسول الله ﷺ. (راجع: المسعودي، مروج الذهب ٣: ٢٥٤).

(٤٤) المسعودي، مروج الذهب ٣: ٢٥٤ و ٢٥٥.

الدولة العباسية^{٣٩}

إن غاية سياسة العباسيين في إعلان السواد شعاراً لهم وفي اليوم العاشر من المحرم بالذات عند قيام دولتهم تتجسد في أمرين:

الأول: كسب الجانب العلوي الذي يتمتع برصيد شعبي هائل.

والثاني: إظهار حُسن نية العباسيين تجاه العلويين وخاصة الإمام

الصادق عليه السلام الذين كانوا على علم تام بنوايا العباسيين وأهدافهم.

لقد كان للعباسيين شيعة وموالون في الكوفة، منهم أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال^{٤٠}، وكان من كبار الشيعة فيها^{٤١} وقد استوزره السفاح ولقبه وزير آل محمّد، وبعد القبض على إبراهيم الإمام وقتله في سجن مروان الحمار سنة (١٣٢هـ)، أجمع المؤرّخون على ميل أبي سلمة إلى تحويل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي. فكتب كتابين على نسخة واحدة إلى الإمام الصادق عليه السلام وإلى عبد الله بن الحسن، يدعو كلّاً منهما للشخص إليه ليصرف الدعوة إليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له^{٤٢}. ودفع الرسالتين إلى رسوله محمّد بن عبد الرحمن^{٤٣}، فوفد إلى المدينة على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فلقبه ليلاً، وأعلمه أنّه رسول أبي سلمة وأعطاه كتابه. فقال له الإمام الصادق عليه السلام: «وما أنا وأبو سلمة؟ وأبو سلمة شيعة لغيري». قال: إني رسول، فتقرأ كتابه وتجيئه بما رأيت، فدعا الإمام الصادق عليه السلام بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: «عزف صاحبك بما رأيت»، ثم تمثّل بشعر للكُميت بن زيد:

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب^{٤٤}

وخرج الرسول بالكتاب الثاني إلى عبد الله بن الحسن، فقبل الدعوة وخرج على الفور ليطلع الإمام الصادق عليه السلام على الكتاب، فلما دخل عليه في داره قال له: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان. فأنذر الإمام الصادق عليه السلام عبد الله بن الحسن من أبي سلمة وقال له: «يا أبا محمد، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ ثم قال له: أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد، وهؤلاء الذين قدموا العراق، أنت كنت سبب قدومهم، أو وجهت

(٤٥) المسعودي، مروج

الذهب ٣ : ٢٥٤، والدينوري،

الأخبار الطوال: ٣٤٠.

(٤٦) الأصفهاني، مقاتل

الطالبيين: ٢١٠.

(٤٧) النوبختي، فرق الشيعة:

٧٥.

(٤٨) المسعودي، مروج

الذهب ٣ : ٢٥٥، وتاريخ

اليعقوبي ٢ : ٣٤٩.

(٤٩) الأصفهاني، مقاتل

الطالبيين: ١٦٢.

(٥٠) المصدر: ٢٢٧.

(٥١) المصدر: ٢١٤، والذهبي،

دول الإسلام: ٨٧.

فيهم، وهل تعرف منهم أحداً؟^{٤٥}. فلم يأبه عبدالله بن الحسن بمقالة الإمام الصادق عليه السلام وقال: إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة^{٤٦}. وترشيح محمد ذي النفس الزكية لمنصب المهدي لم يقتصر تأييده على أهله وأقاربه فقط، بل أتته المغيرة بن سعيد العجلي^{٤٧}. فقال الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما هو مهدي هذه الأمة. ولئن شهر سيفه ليقتلن». وغضب عبدالله بن الحسن وقال للإمام الصادق عليه السلام: والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد، فقال الإمام: «والله ما هذا إلا نصيح مني لك، ولقد كتب إلي أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك، فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه»^{٤٨}.

إن موقف الإمام الصادق عليه السلام من دعوة أبي سلمة وإحراق كتابه، وتمثله ببيت شعر الكميت، تدل على أن القوة وكثرة الأنصار قد أصبحت إلى جانب العباسيين، وأن أي محاولة للقيام بتحريك عسكري ستصاب بالإخفاق. ولذلك ركن الشيعة إلى الهدوء في أيام أبي العباس السفاح، فلم يقتل منهم أحداً ولا أجرى إلى جليس له مكروهاً^{٤٩}.

كما أن موقف الإمام المناهض لأية حركة عسكرية في تلك الفترة بالذات يدل على أنه عليه السلام كان على يقين باستقرار الوضع للعباسيين في خراسان بعد أن اتخذوها مركزاً لدعوتهم، وبعد أخذ البيعة فيها لإبراهيم الإمام، واجتماع الجيوش لهم، بعيداً عن الكوفة لميل أهلها إلى العلويين، وعن المدينة لأنها مركز الإمام الصادق عليه السلام. وأنه لم تكن الفرق المتشعبة عن أهل البيت تهم الخراسانيين كثيراً بقدر ما كان يهتمهم الانضمام تحت قيادة أي رجل من أهل البيت يخرج على بني أمية. وأن بيعتهم لمحمد بن عبدالله بن الحسن كانت تخطيطاً سياسياً من أجل المحافظة على دعوتهم. وعلى هذا الأساس عندما التفت عبدالله بن الحسن إلى خطورة الموقف من قبل العباسيين كتب إلى مروان بن محمد بأنه بريء من إبراهيم الإمام وما أحدث^{٥٠}.

وإن مسارعة أبي جعفر المنصور إلى أخذ البيعة لمحمد ذي النفس الزكية مع أنه كان في عي^{٥١}، ولم يكن أكفاً بني هاشم، وإقبال داود بن علي على عبدالله بن الحسن يدعوه لإظهار ابنه محمد إنما هو اختيار يمكن العباسيين من انتزاع الأمر

إذا آل إلى الهاشمين، ولعل المنصور هو الذي وجّه نظر عبدالله إلى ولده محمد. ولقد كان الإمام الصادق عليه السلام حذراً ومتيقظاً لكل العروض التي كانت تعرض عليه، ولذلك كتب إلى أبي مسلم الخراساني، بعدما أنفذ إليه أنه قد أظهر الكلمة ودعا الناس إلى موالاة أهل البيت وإلى الدعوة إليه: «ما أنت من رجالي ولا الزمان زمانني»^{٥٢}.

(٥٢) الشهرستاني، الملل

والنحل ١: ١٥٤.

وإن رفض الإمام الصادق عليه السلام لدعوتي أبي مسلم وأبي سلمة يكشف عن عمق نظره للتحركات السياسية التي كانت تجري في فلكها شخصيات ذلك المجتمع، وبُعد في الرؤية لعواقب الأمور، لأنّ أبا مسلم وأبا سلمة كانا داعيتين للعباسيين، بل هما من أقطاب دعوتهم^{٥٣}.

(٥٣) تاريخ الطبري ٧: ٤٨٤.

والدينوري، الأخبار الطوال

٣٧٨ و ٣٤٣.

فالظاهر أنّ دعوة أبي سلمة للإمام الصادق عليه السلام ولعبد الله بن الحسن كانت عملية جس نبض لموقف العلويين، ليعرف الدعاة العباسيون كيف يتحركون بدقة^{٥٤} لاحتواء عملهم وإجهاض حركتهم^{٥٥}.

(٥٤) محمد جواد فضل الله،

الإمام الصادق: ١٦٥.

وعند قيام الدولة العباسية لم ينشغل أبو العباس السفاح عن الإمام الصادق عليه السلام رغم انشغاله في بناء سلطته وترسيخ دعائمها. فما فرغ من توطيد ملكه حتّى أرسل على الإمام من المدينة إلى الحيرة ليفتك به. وما كان يدفعه إلى ذلك إلا الحذر من أن يتّجه الناس إلى الإمام الصادق لأنّهم كانوا يرون أن الخلافة تجمع السلطتين الروحية والزمنية، ولا يرونها سلطاناً خالصاً لا علاقة له بالدين^{٥٦}.

(٥٦) محمد حسين المظفر،

الإمام الصادق ١: ٩٥.

وقد ابتدأ السفاح في اللحظة الأولى من خلافته بتبرير حقوق آل العباس بالخلافة ليدفع آل علي عن المطالبة بأحقّيتهم في الخلافة، فادّعى أن العباسيين هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وهم القريبى والعشيرة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الله أوجب على الناس حقّهم ومودّتهم، ووصف نفسه بالسفاح المبيح والثائر المبير^{٥٧}. أما داود بن علي فقد اعتبر أن العباسيين ورثوا الخلافة شرعاً، وأنّها ستبقى في أيديهم حتّى يسلموها إلى عيسى بن مريم^{٥٨}.

(٥٧) تاريخ الطبري ٧: ٤٢٦.

(٥٨) المصدر: ٤٢٨.

(يتبع)